

ترجع هذا إلى ضعفهم في اللغة الاجنبية . وقوتهم في اللغة العربية ، فهذا القول ينطبق تماما على من أجادوا اللغتين ، وحذقوا اللسانين

منطق اللغة

للاستاذ أحمد أمين

وتعليل ذلك قد يبدو غريبا ، فإن أول ما يتبادر إلى الذهن أن اللغة ليست إلا وسيلة للتعبير عن المعاني ، وليست إلا مظهرأ من مظاهر العقلية ، فإذا كان التفكير صحيحا سليما كان التعبير عنه كذلك مادام صاحبه يجيد التعبير ويتقن اللغة ، وإذا كان التفكير فاسدا كان التعبير عنه فاسدا متى وفق صاحبه للتعبير عما يريد ، ولكن يظهر لي أن المسألة أعمق من ذلك وأن هناك تفاعلا بين اللغة والتفكير ، فاللغة المنظمة تعمل في تنظيم الفكر ، والفكر المنظم يعمل في تنظيم اللغة - وكذلك العكس - وإن المتكلم إذا تحدث باللغة الانجليزية أو الفرنسية خضع انطقها وطرق تفكيرها كما يخضع لاختيار كلماتها ، واختيار أساليبها وكيفية معالجة الموضوع ، فيؤثر ذلك كله في تفكيره وجدله وحججه ، وعلى الجملة فهو يحاول ان يكون انجليزيا أو فرنسيا في تفكيره كما هو انجليزى أو فرنسى في لغته - يشعر هذا تمام الشعور من أجادوا لغتين أو أكثر ، فهم إذا تكلموا بلغة أجنبية راقية شعروا مثلا - بأن هناك غرضا محدودا واضحا يرمون إليه في حديثهم وحججهم ، وأنهم يضعون لذلك خططا ثابتة معينة تشبه خطط الحرب يضعها قادتها لتسلم كل خطوة إلى التي تليها ، أو كالخطط التي يضعها لاعب الشطرنج الماهر إذا لعب لعبة علم ماذا يريد منها وما هي الألعاب التي تترتب عليها فتتج الفوز ، وهو هو إذا تكلم باللغة العربية لم يتضح القصد له وضوحه باللغة الاجنبية ، ولم يرتب حججه ذلك الترتيب الذي يرتبه باللغة الاجنبية - ومن أوضح الامثلة على ذلك أن مجيد اللغتين كثيرا ما يذكر باللغة الاجنبية ، فيترجم تفكيره إلى اللغة العربية ، وقلبا يعكس ، مع أن اللغة العربية هي لغته الأصلية ، وهي التي نشأ عليها وتربى في أحضانها ، فكان معقولا أن تكون هي لغة تفكيره

قال صديقى : ألا تنظر إلى هذه الظاهرة الغريبة ؟ أنا في مجلس يتجادل أحيانا فيما يُعرض عليه باللغة العربية ، وأحيانا باللغة الانجليزية ، فإذا تجادل باللغة الانجليزية فالحجة تُقرع بالحجة في إيجاز ، ودخل حدود معينة . قل أن يكون هناك استطراد . وقل أن يكون لعب بالألفاظ ، وقل أن يكون خروج عن الموضوع ، وقل أن مكرّر المجادل نفسه فيما يقول . فاما أن يأتي بحجة جديدة وأفكار جديدة ، وإما أن يسكت . وما هي إلا هنية حتى يؤخذ الرأي ، ويفصل في الامر . وإذا تجادلنا باللغة العربية فهناك يطول الجدل ، ويكثر الحديث ، وكثيراً ما تفرع الحجة لا بأختها ، ولكن ينت عما ، وكثيراً ما يستطرد من موضوع إلى موضوع لا أقل مناسبة أو بدونها ، وبعد طويل من الزمان يعودون إلى ما بدؤوا فيه ، وتثار مسائل كثيرة لا يفصل في واحدة منها ، ويقول المجادل الآن ما قال من قبل ، فيرد عليه صاحبه بمثل ما رد من قبل ، وتشعب الآراء حتى يصعب حصرها . وحتى ينسى أخيراً ما بدى به أولاً ، ثم يؤخذ الرأي وقد ملّ المتجادلون ، وسئموا الجدل ، وودوا أن يفصل في الامر على أى شكل . ولذلك قد يكون الرأي يؤخذ أخيراً شراً من الرأي يؤخذ أولاً ، بل قد يكون الرأي الذي قرر لا علاقة له بالمسألة التي أثيرت من قبل .

نعم يا صديقى . أنا أعتقد أن لكل لغة منطقاً يخالف منطق اللغة الأخرى ، وأن المسألة لا ترجع إلى عقلية المتجادلين وحدها ، فقد يتجادل جماعة - كما ذكرت - باللغة الأجنبية ، ثم هم أنفسهم يتجادلون باللغة العربية فيكونون في الأولى أكثر توفيقا ، وليس من الصحيح أن

فاذا عبر بلغة أجنبية نقل تفكيره اليها - وليس من الحين تبلييل هذه الظاهرة ، ولكن يمكن أن يقال ان السبب في ذلك أن اللغات الأجنبية الراقية قد استكملت أدواتها ، من حيث الالفاظ الموضوعية لكل آلة مخترعة ولكل معنى مستكشف ، كما استكملت أدواتها من حيث أساليب التفكير وصياغة المعاني صياغات مختلفة . أدخل في الذهن ، وأقبل للعقل ، وأجمل في النقوق ، وأن اللغة العربية أبطأت في تاريخها الحديث ولم تسرع في السير ، برغم مايقوله الدعاة من أنها أغنى اللغات وأجمل اللغات ، ثم ينامون على ذلك من غير أن يعملوا على تكميل نقصها ، ومعالجة ضعفها ، وكيف يعمل على معالجة الضعف من لم يشعر بألم المرض ؟ وكيف يعمل على تكميل النقص من لم يشعر بنقص ؟ - لهذا كان فكر المفكر اذا أجاد اللغتين يتبع - من غير اختيار - أرحبها صدرا وأعزرها مادة وتعبيرا

وسبب آخر : وهو أن الأمم الأجنبية الراقية قد مرت طويلا على المجالس النابية والمناظرات المدرسية والجامعية ، وتمكنت لها مع طول الزمن تقاليد معروفة مأثوقة غير مكتوبة ، وآثرت في جدلهم ومناظراتهم ومجالسهم أترا كبرا ، كما أثرت في طرق تفكيرهم ولغتهم التي يتبعونها في الجدل والمناظرة

ثم - مما لا شك فيه - أن هناك ارتباطا قويا بين اللغة والخلق ، فلوست تجد في لغة أجنبية من ألفاظ الملق وعباراته ما تجده في اللغة العربية مما أدخله عليها الفرس والأتراك ، ولا تجد من عبارات الحشو التي تدل على الذل والخضوع ما تجد في لغتنا العربية الحديثة . كانت اللغة ديمقراطية شريفة نبيلة يوم كانت اللغة العربية لغة العرب الديمقراطيين الذين لا يفرقون كثيرا بين مخاطبة الأمير ومخاطبة بعضهم بعضا ، ثم أصبحت لغة العبيد يوم تسرب الى أهلها الذل والعبودية - لقد جلست أول أمس الى رجل يحدثه باشا ، فكان ما أحصيت في حديثه

من - عادة الباشا - أكثر من كلماته في الموضوع - ومالي أذهب بعيدا - ومدلول الكلمة في اللغة العربية أصبح غير مدلوله في اللغة الأجنبية ، فاذا قال الألماني أو الإنجليزي . نعم أفعل ، لم تدل على نفس المعنى الذي يقوله المتكلم باللغة العربية « نعم أفعل » « ففهم أفعل » العربية تدل على أنه قد يفعل وقد لا يفعل - والسامع اذا سمعها شك في مدلولها « هل يفعل أو لا يفعل » فاحتاج الى أن يكرر عليه الطلب والرجاء . واحتاج المتكلم أن يعيد « نعم أفعل » وربما أقسم ، وربما استعمل كل صيغ التأكد ، وهي بعد هذه الأيمان وهذه التأكيدات كلها لا يزال مدلولها أنه قد يفعل وقد لا يفعل - وهو اذا لم يفعل لم يحجل ، لأنه حقق وجهها من وجوه الجملة - بل المتكلم الشرقي اذا قال « سأفعل » باللغة الأجنبية كانت أقوى في نظره وأكثر التزاما بما اذا قالها باللغة العربية ، والمتكلم هو هو ، لم يتغير في الكلمة إلا التعبير عنها باحدى اللغتين ، فاذا قالها العربي لأجنبي كان لها أشد احتراما ولتفصيلا أشد ورغبة وأقوى ارادة - ليس في هذا كله دليل على شدة الارتباط بين اللغة والعقل واللغة والخلق ، وأن العقل واللغة والخلق كلها تتفاعل ، فاذا رقت اللغة تبعها - نوعا ما - رقى العقل والخلق ، وإذا رقى العقل تبعه - نوعا ما - رقى اللغة والخلق ، وهكذا . ومن هذا تنتج معادلات جبرية معقدة الحل

إن الغيرة القومية والنهضة الشرقية تتطلبان أن يعنى قاداتها بهذه المظاهر ، وأن يضعوا للأمة تعاليم جديدة في اللغة والتفكير ، فهم مطالبون ، بكل الوسائل أن يمتدوا ألفاظ الملق من اللغة العربية ويحيوا ألفاظ الأدب التليل ، وأن يربطوا أشد الربط بين الالفاظ ومدلولاتها ، فلا يسمحوا أن يضعوا مدلول الالفاظ كما هي ضائعة اليوم - وأن يضربوا الأمثال للناشئين في الجدل والمناظرات فيعلمون كيف تؤدي المعاني على وجوهها ، وكيف تلتزم حدود الجدل فلا تتخطى ، وكيف يرسم الغرض الذي يرمى اليه الباحث ، وكيف يختط السيل اليه ، وكيف